الايهام في التنويم

قد اتينا في ما تقدّم على لمعةٍ في نشوء صناعة التنويم وما اعتورها من تغير الاساليب في طرق البحث عنها والمشاحات في نفيها واثباتها حتى صارت علماً يعلل بهِ عن كثيرٍ من المسائل التي اشكلت على الافهام فعدّت من الخوارق التي هي من شؤون ما وراء الطبيعة . وذكرنا ان هذه الصناعة انتشرت الآن في الامصار الاوربية والاميركية بعد ان ثبتت فوائدها في علاج كثيرٍ من الامراض ولا سيما العصبية التي يغلب عليها تأثير الاحداث النفسانية ولما كان هذا التأثير موقوفاً على الايهام رأينا ان نأتي على بيان ماهيتهِ قبل الافاضة في بيان مبادئ التنويم ومسائلهِ واعراضهِ ومنافعهِ الى غير ذلك مما نرجئ الكلام فيهِ الى محلٍّ آخر فنقول

اذا وقف انسان بازاء آخر وحدّق بنظرهِ اليهِ وحادثهُ وقع بينهما تبادل في العواطف يؤدي الى تسلط الواحد على افكار الآخر فان كانت مزاولة هذا التأثير لإحداث النوم فالنائم يقع تحت سلطة منوّمهِ يتلقى اوامرهُ ويمتثلها ولا يجد في نفسهِ سبيلاً لمخالفتها فاذا اوهمهُ انهُ مُسخ كلباً عوى واذا امرهُ ان يفعل امراً فعلهُ ولو كان موهوماً واذا كان اثلّ واوعز اليهِ ان يتناول شيئاً مدّ يدهُ فالامر والايعاز والتلقين وما جرى مجراها هي ما سمّي بالايهام

واذا كان المنوّم منقاداً بالضرورة لسلطة الذي ينوّمهُ فوجدانهُ يكون حينئذٍ مفقوداً او ضعيفاً لانهُ لا يعمل بارادتهِ عن علمٍ ولكن بادارة المنوّم اذ يحلّ الوهم محل العلم فلا بدّ اذاً للتنويم من قابلية الايهام . على ان هذه

القابلية تكون اما محمولية كالتي يحدثها المنوّم او موضوعية وهي ملازمة للوجدان في صنف الحيوان وتتوقف في الانسان على ادراك الصور الواردة الى الدماغ عن طريق الحس حيث يرتسم خيال هذه الصور بعد غيبوبة المادة فيقترن بعضها ببعض حتى اذا افتكر الانسان بواحدةٍ منها تذكر مالابسها وارتبط بها كما لو عرض لهُ ذكر جزيرة القديسة هيلانة فيلزم عن ذلك تصوُّر نفي بونابرت امبراطور الفرنسيس اليها وما قاساهُ في حبسهِ فيها من العذاب الاليم . ومن هذا القبيل ما يعتري الانسان من الحزن والكآبة من جرّاء تصوّرهِ عزيزًا فقدهُ متى ذُكر لهُ اسمهُ واذا طرأ على ذاكرتهِ امرٌ يُسرُّ بهِ انشرح لهُ صدرهُ وبرقت اسرّة وجههِ فبدت امارات الفرح عليهِ تنشر سرّهُ وتنمُّ بمكنون ضميرهِ . وعلى هذا النحو تنشأ الاميال والاهواء وتتولد العواطف والرغائب فان ما يتوق اليهِ الانسان يهيج التفكرُ بهِ الرغبة في الحصول عليه وذكر المتمل يحمل على حك الرأس والبراغيث على حك الجلد الى غير ذلك مما يطول استقراؤهُ

وحريٌّ بالاعتبار في هذا المقام قول ابن خلدون في مقدمتهِ "اما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انها جميعًا اثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لها آثارًا في بدنها على غير المجرى الطبيعي واسبابهِ الجسمانية بل آثاراً عارضة عن كيفيات الارواح تارةً كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصوُّرات النفسانية اخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط او على جبل منتصب اذا قوي عندهُ توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرًا من الناس

يعوّدون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك اثرًا للنفس في بدنها من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فجائز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة " واذا علمت ذلك تيسر لك فهم كثير من الحوادث التي يغلب فيها الوهم ويقوّيها الى حد تصور كونها من الخوارق كقراءة الافكار وطريقتها تتضح بهذا المثل. يجتمع قوم في غرفة فيُختار منهم شخص معيّن يضمر شيئًا مما في هذه الغرفة يكشف سرّهُ شخص آخر فاذا فرضنا ان الشخص الذي اضمر الشيء هو عمرو وان الذي يقوم بالتعريف عنهُ هو زيد وان الشيء المضمر زجاجة على مائدة في زاوية الغرفة ترتب على زيد ان يخرج من الغرفة وعلى عمرو ان يديم التفكر بذلك الشيء ثم يدخل زيد الى الغرفة ويمسك يد عمرو ويكلفهُ ان يدمن التفكر في موضع الشيء المضمر فلا يلبثان قليلاً حتى يتجها كلاهما الى جهة المائدة حيث يشير زيد الى الزجاجة قائلاً هذا هو الشيء المضمر. ومع ان هذه العملية بسيطة فقد عدّها كثيرون منذ خمسين سنة الى الآن من الخوارق وتعليلها ان ثبوت عمرو بفكرهِ يؤثر في بدنهِ فيتحرّك عضلهُ حركاتٍ هي في منتهى اللطف ولا سيما عضل ذراعهِ حيث يمسك زيد بهِ فيشعر بهذه الحركات ويذعن لها منقادًا مع عمرو الى جهة الموضع المنصرفة اليهِ القوة المفكرة فترى ان هذه الحركات صدرت من عمرو على غير معرفة منهُ وبدون ارادتهِ ومع انها في منتهى اللطف فهي كافية للدلالة على اتجاه

الفكر فلنا في هذا المثال ثلاثة امور حرية بالتأمل هي اولاً ان عمرًا افتكر بشيء ثانيًا ان فكرهُ ثبت في ذلك الشيء ثالثًا ان ثبت الفكر اثر في البدن فحملهُ على الحركة. ومن هذا القبيل حركة الشفتين في من يحسب في سرهِ حسابًا او يناجي نفسهُ بامرٍ يقتضي امعان الفكر. والحاصل ان القوة المفكرة تؤثر في الانسان تأثيرًا يظهر تارةً على شكل حركة في البدن وطورًا على شكل مدارك وتصورات وعواطف وغيرها وفي اكثر الحوادث او كلها يجتمع الامران على ان هذا الاثر مهما كان مصدرهُ يتوقف على مدارك الانسان وقوتهِ المخيلة وطبيعتهِ وعوائدهِ

وترى في احوال كثيرة ان بكرًا يؤثر في خالد تأثيرًا خصوصيًا تعمدهُ مع ان خالدًا لا يدرك شيئًا مما تعمدهُ بكر ومن هذا القبيل ما يفعلهُ المشعوذ فيعمد الى شيء ياخذهُ بيدهِ والحضور على غرةٍ منهُ ينظرون ولا يدركون وذلك انهُ يوهمهم خلاف قصدهِ فاذا عمد الى اخذ الشيء بيدهِ اليمنى حوّل نظرهُ الى اليسرى فتتبعتهُ اعين الرائين وهم لا يشعرون واذا استتبَّ لهُ ذلك اوهمهم أن شيئًا في يدهِ اليسرى ولا شيء فيها ريثما يتسنى لهُ بمهارتهِ ورشاقتهِ اخفاء شيء لم يلاحظوهُ او نقلهُ من مكان الى آخر فهو اذًا يحدث في الحضور اثرًا تعمدهُ اي تحويل نظر الرائين الى خلاف الجهة المقصودة منهُ على انهُ يحرص اشدّ الحرص في اخفاء مقصدهِ فلا يقول مثلاً لاحدٍ انظر الى جهة كذا او كذا فان فعل فسد عملهُ وافتضح سرّهُ لان الابصار تدركهُ حينئذٍ. وترى من جهة اخرى ان التأثير يحصل بالاقناع كما لو رايت رجلاً متعبًا فقلت لهُ ما بال وجهك اصفر فتوهمهُ انهُ مريض ولو لم يكن مريضًا فقد

علمت مما تقدم الايهام وكيفية حدوثهِ وطرق تأثيرهِ وهو المعول عليهِ في مزاولة التنويم عند علمآء مدرسة ننسي ومن تابعهم

ومن انواع الايهام ما يحدثهُ الفكر في الشخص نفسهِ بدون وساطة شخص آخر وهو كثير الحدوث في امراض شتى ومن امثلتهِ ان الالثغ اذا لم يفتكر بلثغتهِ يجري نطقهُ احيانًا كثيرة على صحة اللفظ فاذا افتكر بها او جآء في بالهِ ان لسانهُ لا يجري بدونها او ان سامعهُ متعيبٌ لنقدهِ عرضت لهُ في اثنآء حديثهِ وربما اشتدت عليهِ حتى تمنعهُ من الكلام فترى هنا الايهام حادثًا من جرآء تأثير الفكر في الشخص نفسهِ ولذلك سمي بالايهام الذاتي خلافًا لايهام اصفرار الوجه على ما ذكر آنفًا فهو حادث من تأثير شخص غير الواقع عليهِ الاثر ولذلك سمي بالايهام الخارجي

وتكثر حوادث الايهام الذاتي في الامراض العقلية فقد يتوهم المريض انهُ لا يستطيع ان يتجاوز فجوة في طريقهِ فينكص عن الاقدام واذا حاولت اقناعهُ بعدم وجود الفجوة فكأنك تضرب في حديد بارد وقد يتخيل الآخر ان عدوًا يجري ورآءهُ فيجدُّ في الهرب منهُ . وكثيرٌ من حوادث الشلل الهستيري يشابه الايهام الذاتي فترى المريض بهذه العلة لا يستطيع ان يحرك رجليهِ لاقتناعهِ بان حركتهما غير ممكنة ثم زال الوهم عادت الحركة . ويزعم شركو ان الايهام الذاتي قد يحدث عن سبب خارجي كالشلل الجراحي الجزئي الذي ينسب الى قطع احد الاعصاب وسببهُ الحقيقي في مخيلة المجروح ومن هذا القبيل توهم الملطوم عدم استطاعتهِ تحريك ذراعهِ من جرآء اللطمة . وقد تفنن الذين يزاولون صناعة التنويم باحداث الايهام على طرق

مختلفة توصلاً الى ما يحاولونهُ من المقاصد منها اقناع المنوّم في اثناء تنويمهِ بانهُ سيفعل كذا وكذا بعد ان يستيقظ وهذا النوع من الايهام يسمى بالايهام التالي كما ان الايهام قبل التنويم يسمى بالسابق وفي هذا القدر كفاية

تأثير القمر

في الاحوال الجوّية

بحث بعضهم فيما تحدثهُ اوجه القمر من التأثير في الاحوال الجوّية وهو كما لا يخفى من المعتقدات الشائعة عند العامة من عهدٍ عهيد الاّ انهُ مع عمومهِ واشتهارهِ لا يرجع الى قواعد مطّردة ولا يصدُق دائمًا بحيث يمكن ان يُبنى عليهِ انباءٌ صحيح لان مطلق القياس في مثل هذا مما لا مطمع في الوصول اليهِ غير ان صدقهُ في كثيرٍ من الاحوال مما يدلُّ على انهُ لا يخلو من الصحة

وقد خاض اهل العلم في هذه المسئلة واطالوا من المراقبات والقيود والمقابلة بين وقتٍ ومثلهِ فمنهم من جزم بصحتها وفرض لها مواقيت ومواعد تُرَدّ اليها قياساً على احوالٍ سابقة كما يفعلهُ اصحاب التقاويم السنوية فصدقت في بعض الاحوال وتخلفت في البعض الآخر ومنهم من نفاها بتةً وانكر كل علاقةٍ بين اوجه القمر والجوّ الارضي ومن اولئك العلامة اراغو الفلكي الشهير وهو ولا شك تطرُّفٌ في القطع لثبوت القياس في بعض تلك الحوادث كما تقدمت الاشارة اليهِ

والظاهر ان سبب هذا التأثير لا يتعين ان يكون من جهة تبدُّل اوجه